آية الكرسي

معانيها وفضائلها

للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي

«٨٤٩ - ٩١١ هـ»

آية الكرسي

بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو

الحي القيوم

لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع
عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه
إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ..

(يا أيها الذين امنوا ، اتقوا الله حق تقاته .. ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً).

يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً).

أما بعد .. فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

فهذه عجالة ، عن سيدة آى القرآن .. عن آية الكرسى التى لا حد لبركاتها ، ولا غنى لمسلم عنها ، نقلناها عن كتاب الحافظ جلال الدين السيوطى : « الدُرُّ المنثور فى التفسير بالمأثور » أى التفسير بالنقل [الخبر والأثر] وهو من أجود أنواع التفاسير .

ولم نتقيد بترتيب الحافظ ، ولا بأسلوب تأليفه ، بل عدنا إلى ترتيبها ترتيباً يسهل على القارىء فهم هذه الاية العظيمة ، وسرعة استيعاب معانيها .

ثم قارنا ذلك بباقى التفاسير ... كالطبرى ، والقرطبى ، وابن كثير ، ومحاسن التأويل ، والمنار .. « فى ظلال القرآن » وأثبتنا ذلك

بالهامش فى مواضعه ، وقدمنا بتمهيد هو خلاصة تلك التفاسير ..

وما كان من صواب وتوفيق فمن الله ، وما كان من هنات وتقصير فمن أنفسنا ، والله نسأل أن ينفع به ، وإنا لنحتسب أجره عند الله عز وجل ..

تمهيد

هذه آية الكرسى .. سيدة آى القرآن .. وأعظم آية فيه .. نزلت ليلاً ودعا النبى ﷺ زيداً .. فكتبها[1] ..

وقد اشتملت على عشر جمل مستقلة .. تحمل تقرير وحدانية الله وصفاته العلى[2] .

وقد جَلّى الله على منصّة هذه الآية الكريمة ، عرائس المسائل الإلهية ، وأشرقت على صفحاتها أنوار الصفات العلية ....

لقد جمعت أصول الصفات من الألوهية ، والوحدانية ، والحياة ، والعلم ، والملك ، والقدرة ، والإرادة ، واشتملت على ثمانية عشر موضعا ، فيها إسم الله تعالى ، ظاهراً فى بعضها ، ومستترا فى البعض الآخر .. ونطقت بأنه سبحانه واحد متفرد فى ألوهيته ، موجد لغيره ، منزه ، ومبرأ عن التغيير والفتور .. لا مناسبة بينه وبين الأشباح ، ولا يحل بساحة جلاله ما يعرض للنفوس والأرواح .

---

(١) القرطبى : ٣/٢٦٨ . (٢) تفسير ابن كثير : ١/٤٤٥

مالك الملك والملكوت ، ومبدع الأصول والفروع ، ذو البطش الشديد . العالم وحده بجَلِيِّ الأشياء وخفيها وكُلِّيها وجُزْئِيها واسع الملك والقدرة لكل مَامن شأنه أن يُمْلَك ويُقْدَر عليه . لا يشق عليه شاق ، ولا يثقل شيء لديه .. متعال عن كل ما لايليق بجنابه العظيم[1] .

إنها آية تتضمن قواعد التصور الإيمانى، وتذكر من صفات الله سبحانه ما يقرر معنى الوحدانية .. فى أدق مجالاته ، وأوضح سماته .. وهى آية جليلة الشأن ، عميقة الدلالة ، واسعة المجال .

ولأهمية وضوح صفات الله سبحانه البالغة .. فى الضمير الإنسانى .. فقد جاء الإسلام فجلاها هذا الجلاء ... بحيث تمثل كل صفة قاعدة يقوم عليها التصور الإسلامى الناصع ..

وعن هذا التصور ينشأ الاتجاه إلى الله وحده .. بالعبودية والعبادة .. ! فلا يكون إنسان عبداً إلا لله ، ولا يتجه بالعبادة إلا لله ، ولا يلتزم بطاعة إلا طاعة الله ، وما يأمره الله به من الطاعات ..!..

---

(١) الكرسى : ٣/١١.

وعن هذا التصور تنشأ قاعدة الحاكمية لله وحده فيكون الله وحده .. هو المشرع للعباد ؛ ويجيء تشريع البشر مستمدا من شريعة الله .

وعن هذا التصور تنشأ قاعدة استمداد القيم كلها من الله ، فلا اعتبار لقيمة من قيم الحياة كلها .. إذا لم تقبل فى ميزان الله ..

ومن ثَمَّ فلا شرعية لوضع .. أو تقليد .. أو تنظيم يخالف عن منهج الله ..

حينئذ يلتزم الإنسان فى حياته بالمنهج المرسوم القائم على الحكمة والتدبير .. ويستمد منه قيمه وموازينه ، ويراقبه وهو يستخدم هذه القيم والموازين[1] ..

باختصار .. يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يرى الله فإن الله يراه .

وتبدأ الآية بتقرير صفتى الحياة والقيومية ، بعد أن وضحت وأكدت صفة الوحدانية .

---

(١) فى ظلال القرآن : ١/٢٨٧ /

فإنه مما يجعل الإنسان آمنا فى حياته ، شعوره العميق بأنه .. فى يد رب حى .. قيوم .. حافظ ..

والله تبارك وتعالى ، متفرد بالحياة الأزلية الأبدية ، التى لا تبدأ من مبدأ ، ولا تنتهى إلى نهاية ، لأنها متجردة عن معنى الزمان ، المصاحب لحياة الخلائق المكتسبة ، المحددة البدء والنهاية ... لأنه تعالى خالق الزمان .

وهو سبحانه قيوم يقوم على كل موجود بالحفظ ، وعلى كل نفس بما كسبت ، شهيد على كل شيء .. لا يغيب عنه شيء ، ومن كمال قيوميته أنه لا يعتريه نقص ، ولا غفلة ، ولا ذهول عن خلقه .. فلا تعتريه سِنَةٌ تصيب عيناً ، ولا نوم يخالط قلباً .

ومن جهة أخرى .. فإن كل موجود يقوم به ، فلا قيام لشيء إلا مرتكن إلى وجوده وتدبيره[1] ..

وهذه القيومية المُسْتَتْبِعة عدم النوم والغفلة يؤكدها ما جاء فى الصحيح عن أبى موسى قال :

قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات :

---

(١) فى ظلال القرآن بتصرف : ١/٢٨٧ .

إن الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يُرْفَعُ إليه عمل النهار قبل عمل الليل ، وعمل الليل قبل عمل النهار ، حجابه النور .. أو النار ؛ لو كشفه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه « ضياؤه وجلاله » ما انتهى إليه بصره من خلقه ..

بيد أننا نقرر أن المنهج الأسلم فى فهم صفاته العلى يوجب علينا اتباع طريقة السلف الصالح .. وهى إمرارها كما جاءت ، من غير تكييف ولا تشبيه[1] .

فرب العباد فى كل صفة من صفاته ، مخالف لما نعْهد من صفات الخلائق .. فله وصف الحياة المطلق ، والقيومية المطلقة ، والعلو المطلق ، والعظمة المطلقة .. بصورة لا تدانيها صفة مخلوق .. فهو سبحانه « ليس كمثله شىء » .

ومن مفهوم الألوهية الواحدة تنبع مفاهيم عديدة .. فالله الواحد هو الحى الواحد .. القيوم الواحد .. الملك الواحد .. الذى له الملكية الشاملة المطلقة التى لا يرد عليها قيد ، ولا شرط ، ولا فوت ولا شركة .. فملكيته ملكية تملك ..

---

(١) ابن كثير ١/ ٤٥٩ .

أما ملكية الناس فهى ملكية انتفاع .. واستخلاف من الملك الواحد ...

ومن ثم .. وجب أن يخضعوا فى خلافتهم لشروط المالك المستخلف فى هذه الملكية ، بينها لهم فى شريعته .. وإلا بطلت ملكيتهم .. ووقعت تصرفاتهم باطلة ..

واعتقاد هذا التصور بوضوح يسكب فى النفس القناعة والرضا ، والسماحة والجود ، ويخلصها من الشح والطمع والشره ، وأكثر من هذا أنه يفيض على القلب الطمأنينة والقرار فى الوجدان والحرمان .. سواء فلا تذهب النفس حسرات على ضائع أو فائت ، ولا يتحرك القلب سعاراً على المرموق المطلوب[1] .

وتقرر الآية أن كل العبيد أمام الله سواء .. لا يملك أحد منهم لأحد شيئا ، فهناك مقام الألوهية .. ومقام العبودية .

قد يتفاضل الناس فيما بينهم ، وفى ميزان الله ، لكنهم يقفون عند حدودهم ... فلا يملك أحد منهم الجرأة على الشفاعة عنده إلا بعد إذنه سبحانه .. وذلك مقام يوحى

---

(١) فى ظلال القرآن : ٢٨٨/١

بالجلال والرهبة فى ظل الألوهية الجليلة العلية .. ألا ترى إلى ورود ذلك فى صيغة الاستفهام الإنكارى .. الذى يوحى بأن هذا لا يكون .. فمن هو الذى يشفع عنده إلا بإذنه ؟ .. الألوهية ألوهية !.. والعبودية عبودية !»[1» .

إن جملة الآية تملأ القلب بعظمة الله ، وجلاله وكماله ، حتى لا يبقى فيه موضع للغرور بالشفعاء ، الذين يعظمهم المغرورون تعظيما خياليا ، غير معقول ، حيث ينسون أنهم بالنسبة إلى الله تعالى عبيد مربوبون ، أو عباد مكرمون ...

فمن تدبر هذه الآية ، وأمثالها مما ورد فى علم الله ، وعظمته وانفراده بالسلطة ولا سيما يوم الدين .. فإن عظمته تعالى لا تدع فى نفسه غرورا .. بل يوقن بأنه لا سبيل إلى السعادة فى الآخرة إلا بمرضاة الله تعالى فى الدنيا . فمن لم يكن مرضيا لله تعالى لا يتجرأ أحد على الشفاعة له ، بل يجعل اعتماده فى النجاة على وعد الله ، لمن يعمل الصالحات وهو مؤمن [2» .

---

(١) فى ظلال القرآن : ٢٨٨/١

(٢) تفسير المنار .. عن الشيخ محمد عبده ٢٨/٣ ، ٢٩

وننبه على أنه هناك شفاعة ، ولكن بعد أن يأذن الله .. فعن أبى هريرة أنه قال : يارسول الله .. من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ . قال رسول الله ﷺ : « لقد ظننت ياأبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك .. لما رأيت من حرصك على الحديث .. أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه »[1] .

فالشفاعة ثابتة لأهل الإخلاص .. بإذن الله .. فلا بد من إذنه .. ومع ذلك فرب العبيد رحيم بهم ، ممد لهم ، ودود بهم ..

وتؤكد الآية أن علم الله شامل بما بين أيدى الناس وما خلفهم ، مايعلمون ومايجهلون من أمر حياتهم ، فالنفس تقف عارية فى كل لحظة أمام بارئها ، الذى يعلم ما بين يديها ، وما خلفها فيسكب هذا الشعور فى القلب الاستسلام لمن يعرف ظاهر كل شيء وخافيه .. فيعمل على أن يجعل سِرَّه كجهره ، مخلصا فى السر والعلن ..

أما علم الناس فلا يتعدى ما شاء الله لهم أن يعلموه .. فلماذا الفتنة بالعلم إذن ؟ وهو علم قليل .. فى أحد جوانب الكون والحياة .. غير المعدودة ..

---

(١) البخارى فى كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ١/٣٥، ٣٦